مسوغات التقديم والتأخير في سورة البقرة

د. هديل عبد الحليم داود
كلية التربية للبنات - جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث : ٢٠١٠/٢/٩ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠١٠/٥/١٣

ملخص البحث :

اهتم النحاة بالتقديم الذي يمثل بؤرة الأسلوب الذي يدور حوله التركيب قيما يتعلق بترتيب الأجزاء داخل الجملة ، وإن أي تغيير يطرأ على الجملة من حيث تنظيم الكلمات او ترتيبها ينبني على معنى وهو ما يعنى به علماء النحو والبلاغة ، اذ يحدث التقديم فيه طلباً لإظهار ترتيب المعاني في النفس ، فقد يرد التقديم لأغراض عدة منها السبق في الزمان ، الاهتمام ، الاختصاص ، تقوية حكم وتأكيده ... الخ وهذا التقديم يؤثر في توجيه الدلالة لتغيير السياق لان فضيلة البيان لا تعود إلى اللفظ من حيث اللفظ وإنما تعود إلى النظم وترتيب الكلام وفق ترتيب معانيه في النفس .

Justifications of Forwarding And Deferring of Words in Al-Baqarah Surah

Assist. Lecturer
Hadeel Abdul Haleem Dawood
College of Education for girls - University of Mosul

Abstract:

Grammarians paid a good attention to forwarding, which represents the focus of style, upon which the construction revolves concerning arrangement of words of a sentence, that any change in a sentence – in terms of arrangement of the words – may indicate another meaning; and this what the grammar and rhetoric scholars are concerned with. Forwarding is done to reveal the arrangement of meanings for the receiver. This forwarding might be used for many purposes; such as precedence in time, interest, specialization and emphasizing and strengthening certain grammatical or rhetoric rule,…etc. Forwarding

influences the direction of the semantic meaning in changing the context, because the virtue of the eloquence doesn't relate to the sole utterance but it relates to the organization and arrangement of the speech depending on the arrangement of its meanings and their influence on the soul.

مسوغات التقديم والتأخير في سورة البقرة

الحمد لله الذي أنار قلوب عباده المتقين بنور كتابه ، حمداً طيباً كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين وصحبه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وبعد ...

فقد جعل الله تبارك وتعالى اللغة العربية وعاء لكتابه المعجز لخصائصها المستودعة من لدنه ، لأنها تستطيع استيعاب أسرار القرآن الكريم ، والقرآن الكريم هو كتاب معجز بجميع المعايير ، لأنه قد راعى جميع مقتضيات الكلام ، وأتى بما هو الأجدر والأليق ، ولا يمكن ان يأتي بأحسن منه ، فهو أفصح كلام عربي بل هو القمة في الفصاحة في إيجاز لفظه ومعناه ، وما أسلوب التقديم والتأخير الا أحد أساليبه البليغة والمعجزة ، فهو كنز من كنوز البيان ووادٍ من أودية الفصاحة يحتاج إلى فضل تأمل ، فهو يدخل في مجال واسع من فنون التصرف في الكلام ، لذا آثرت ان يكون موضوع بحثي مسوغات التقديم والتأخير في سورة البقرة ، وتناولت سورة البقرة بالتحديد لما وجدت فيها من كثرة لهذه المسوغات فضلاً عن ان هذه السورة المباركة تحوي في أثنائها الكثير من الحكم والأمثال والعظات وفي قراءتها فضل كبير، فعن أبي امامة الباهلي (رضى الله عنه) عن النبي محمد ﴿ﷺ﴾ قال : ﴿... أقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة﴾ [١] .

لا بد من التأسيس أولاً للمعنى اللغوي والاصطلاحي للتقديم والتأخير فإذا استشرنا المعجم في الجذر (قدّم) نجد ان " القاف والدال والميم أصل صحيح يدل على سبق ورعف ، ثم يفرع منه ما يقارب ، يقولون ، القدم ، خلاف ، الحدوث ، ويقال ، شيء قديم ، إذا كان زمانه سالفاً " [٢] ، قال الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) : " تقدمه وتقدم عليه ، واستقدم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف : ٣٤) واستقدمت رحالتك . وفرس مستقدم الرّحل : نقيض آخرته " [٣] ، فالتقديم من (قدّم) أي وضعه أمام غيره والتأخير نقيض ذلك [٤].

أما اصطلاحاً ، فقد قسم الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) التقدم إلى قسمين :

---

(١) صحيح مسلم : ٧٩/٦ .

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس : ٥/ ٦٥-٦٦ " رعف، السبق رغم يرغم : سبقه وتقدمه " .

(٣) أساس البلاغة : ٦٦٧ .

(٤) ينظر : لسان العرب ابن منظور : ١٥- ٣٦٦، مادة (قدم) و (أخرّ) .

"التقدم الطبيعي : هو كون الشيء الذي لايمكن ان يوجد آخر الا وهو موجود ، وقد يمكن ان يوجد هو ولا يكون الشيء الذي لايمكن ان يوجد آخر الا وهو موجود ، وقد يمكن ان يوجد هو ولا يكون الشيء الآخر موجداً ، وإلا يكون المتقدم عليه للتأخر ، فالمحتاج إليه ان استقل بتحصيل المحتاج كان متقدماً عليه تقدماً بالعلة ، كتقدم حركة اليد على حركة المفتاح، وان يستقل بذلك كان متقدماً عليه بالطبع كتقدم الواحد على الاثنين ، فإن الاثنين يتوقف على الواحد ، ولا يكون الواحد مؤثراً فيه " [١] .

وقد عينت الدراسات النحوية والبلاغية العربية بـ (التقديم والتأخير) ، سواء أكان الواجب منه أم الجائز ، فقال عنه الجرجاني (ت ٧٤١ هـ): " هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ثم تنظر سبب ان راق لك ، ولطف عندك ، ان قدم فيه شيء ، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان " [٢] .

وعنيت به الدراسات المعاصرة ، فهو بؤرة الأسلوب في التركيب ، ويكتسب هذا المبحث أهميته من حقيقة كونه يجسد الطابع الخاص بالجملة من حيث ترتيب عناصرها [٣] فكل تقديم لما رتبته التأخير أو العكس ، يحمل دلالة ، لأنه عدول عن الترتيب المعياري المألوف ولا يكون إلا لغرض يسري هذا سرياناً مطردا كما يرى الجرجاني معللاً : " لأن من البعيد ان يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى ، فمتى ثبت في تقديم المفعول ، مثلاً على الفعل كثير من الكلام انه قد اختص بفائدة ، لا تكون تلك الفائدة مع التأخير " [٤] .

وذكر سيبويه (ت ١٨٠ هـ) معياراً عاماً شاملاً للغاية من التقديم ، هو العناية بالمقدم، فقال عن العرب : " يقدمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وان كانا جميعاً يهمانهم ويعينانهم " [٥] ، وهذا تعليل عام لا يقف عنده الجرجاني والبلاغيون ، فقد رصدوا أسباباً تختلف عما هو عليه في كلام العرب .

إذ بحث الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في أسباب التقديم وأوصلها إلى خمسة وعشرين سبباً، ومن هذه الأسباب :

"السبق في الزمان والوجود ، التقدم بالذات مثل الواحد على الاثنين ، التقدم بالعلة السببية ، التقدم بالمرتبة ، التقدم بالداعية ، التقدم للتعظيم ، التقدم للشرف ، الغلبة والكثرة ، سبق ما

---

(١) التعريفات : ٥٧ .

(٢) دلائل الإعجاز : ١٣٧ .

(٣) ينظر: نظرية اللغة في النقد العربي ، عبد الحكيم راضي : ٢١١ .

(٤) دلائل الإعجاز : ١٤٠ .

(٥) الكتاب : ١/ ٣٤ .

يقتضي تقديمه ، مراعاة اشتقاق اللفظ ، للحث عليه خيفة من التهاون ، التحقق ما بعده واستغناؤه هو عنه في تصوره ، الاهتمام عند المخاطب ، للتنبيه على انه مطلق غير مقيد ، للتنبيه على ان السبب مرتب ، التنقل ، مراعاة الأفراد ، التحذير منه والتنفير عنه ، التعجب من شأنه ، التخويف منه ، كونه أدل على القدرة ، قصد الترتيب ، خفة اللفظ ، رعاية الفواصل "[١] .

واعتمد علماء الأسلوب على السياق في معرفة التقديم والتأخير ، لأن السياق مهم في بيان معاني الآيات وفي الكشف عن كيفية نظم الكلام مراعاة لتلك المعاني [٢] .

ومن بين تلك الأسباب التي ذكرت منه ما يظهر في سورة البقرة ومنه لا يكون ، ومن هذه الأسباب :

١. التقديم للسبق :

ورد السبق في آيتين من هذه السورة وكما يأتي :

أ. السبق في الزمان كقوله تعالى ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة : ٢٥٥) . قدم السنة على النوم ؛ لأن العادة في البشر ان يأخذ العبد السنة قبل النوم ، فجاءت العبارة على حسب العادة.[٣] والسنة بدء النعاس وهو فتور يعتري الإنسان وترنيق في عينيه وليس يفقد معه كل ذهنه ، والنوم هو المستثقل الذي يزول معه الذهن [٤] ، تأويل ذلك أي انه لا يغفل عن تدبير أمر الخلق ، والتقديم للمبادرة الى إظهار تعظيمه فاللفظ هنا مشعر بالعظمة بذاته. قال الشاعر[٥] الشاعر[٥] :

وسنان أقصده النعاسُ فرنفتْ ... في عينيه سنة وليس بنائمِ

ب. السبق باعتبار الوجود كقوله تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة : ٢٨٥) .

" بدأ بالرسول قبل المؤمنين ثم قال (كل آمن بالله وملائكته) فبدأ بالإيمان بالله ، لأنه قد يحصل بدليل العقل ، والعقل سابق في الوجود على الشرع ، ثم قال (وملائكته) مراعاة لايمان الرسول ، فأنه يتعلق بالملك الذي هو جبريل أولاً ثم بالكتاب الذي نزل به جبريل ، ثم بمعرفة انه

---

(١) البرهان في علوم القرآن : ٣/٢٣٩-٢٧٥ .

(٢) ينظر: التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، حميد احمد العامري : ١٥٠ .

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن : ٣/٢٤٠ ، والبحر المحيط لابي حيان الاندلسي : ٢/ ٢٧٧-٢٧٨ . ومعترك الاقران في اعجاز القرآن للسيوطي : ١٧٨ ، والبلاغة فنونها وأفنانها ، فضل حسن عباس: ٧٩.

(٤) ينظر : تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز) : ٢/ ٣٨٠ .

(٥) ينظر : معجم شواهد العربية ، عبد السلام هارون : ١/ ٣٦٢ .

رسول وإنما عرف نبوة نفسه بعد معرفته بجبريل ﴿عليه السلام﴾ أولاً وإيمانه ، فترتب الذكر المنزل عليه بحسب ذلك فظهرت الحكمة والإعجاز فقال : ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾ ؛ لأن الملك هو النازل بالكتاب وان الكتاب أقدم من الملك ، ولكن رؤية النبي ﴿ﷺ﴾ للملك كانت قبل سماعه الكتاب وأما ايماننا نحن بالعقل آمنا بالله أي بوجوده ، ولكن الرسول ﴿ﷺ﴾ عرفنا اسمه ووجوب النظر المؤدي إلى معرفته فآمنا بالرسول ثم بالكتاب المنزل عليه وبالملك النازل به ، فلو ترتب اللفظ كل حسب إيماننا لبدأ بالرسول ثم بالكتاب ولكن إنما ترتب على حسب إيمانه ﴿ﷺ﴾ الذي هو إمام المؤمنين "[1] .

يتبين من ذلك ان ما أنزل إلى الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ هو الحق من عند الله ، وقد آمن به وآمن معه المؤمنون كل منهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وهم يسوون بين رسل الله في الإيمان بهم وتعظيمهم .

٢. التقديم للعلة :

ورد التقديم للعلة في هذه السورة في أربعة مواضع ، ومما ورد متقدماً للعلة والسبب قوله تعالى : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة : ٣٢)

" أنت مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان ، وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر علمهم بما علمهم الله تعالى وما يفهم من ذلك من علم آدم ﴿عليه السلام﴾ لما نحن بمعزل عن الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الأرض من أنواع المخلوقات التي عليها يدور فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم آدم ﴿عليه السلام﴾ ما هو قابل من العلوم الكلية والمعارف ... " [2] .

فالمولى عز وجل قدم العليم على الحكيم لأن الإتقان ناشئ عن العلم وكذا أكثر ما في القرآن من تقديم وصف العلم على الحكمة [3] . ففي هذه الآية ظهر عجز الملائكة فقالوا : اننا ننزهك يا ربنا التنزيه اللائق بك ونقر بعجزنا وعدم اعتراضنا ، فلا علم عندنا الا ما وهبتنا إياه وانت العالم بكل شيء الحكيم في كل أمر تفعله .

وما ورد متقدماً للعلة أيضاً قوله سبحانه : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة : ١٢٩) .

---

(١) البرهان : ٣/ ٢٤٥-٢٤٦ .

(٢) تفسير أبي السعود : ١/١١٥ .

(٣) ينظر : البرهان : ٣/ ٢٤٧ .

قدم العزيز على الحكيم ، " والعزيز الذي لا يوجد مثله ، وقال الكلبي : المنتقم ، بيانه قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (آل عمران : ٤) ، وقيل المنيع الذي لا تناله الأيدي ولا يصل إليه شيء وقيل القوي ، والعزة القوة ، قال تعالى ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ (يس : ١٤) أي قوينا ، وقيل الغالب ، قال الله تعالى إخباراً ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (ص : ٢٣) أي غلبني ، ويقال في المثل من عزّ بزّ ، أي من غلب سُلب " [١] .

جاء تقديم العزيز على الحكيم ؛ لأنه سبحانه عز فحكم ، ومعنى العزيز القدير لا يغالبه أحد والقادر الذي لا يمتنع عليه [٢] . ويفيد هذا التقديم قصر هذين الوصفين عليه وكما لهما فيه دون غيره [٣] . إذ هو الغالب القاهر الحكيم فيما يفعل وما يأمر به وما ينهى عنه .

وقدم العزيز على الحكيم في آية ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة : ٢٠٩) [٤] من هذه السورة المباركة وفي قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة : ٢٢٨) [٥] للسبب نفسه .

وليست هناك آية قدمت فيها الحكمة على العزة ، فإذا اجتمعت العزة والحكمة ، فالأولى ان تقدم العزة ؛ لأن الحكمة لن تؤتى ثمارها ، ولن تكون نتائجها الا إذا سبقتها العزة ، ونقيض العزة الذلة ، وما أبعد الذلة عن الحكمة [٦] .

وقدم التوابين على المتطهرين تقديماً للعلة في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة : ٢٢٢) . لأنه عز وجل يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين من الأحداث والنجاسات، أو التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك ، وقيل: التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب [٧] . قال ابن عاشور (ت ١٩٧٣ هـ) : " ذكر التوابين هو إدماجٌ

---

(١) تفسير البغوي : ١/ ٦٥ .

(٢) ينظر : البرهان : ٣/ ٢٤٧ .

(٣) ينظر: لمسات بيانية في نصوص التنزيل ، فاضل السامرائي : ٨٠ .

(٤) ينظر : نظم الدرر للبقاعي : ٨٢/٣ ، والتحرير والتنوير : ٣/ ١٨٢ .

(٥) ينظر: المحرر الوجيز : ٢٧٦/٢ ، والتفسير الكبير للرازي : ٦/ ٩١-١٠٣ .

(٦) ينظر: إعجاز القرآن الكريم ، فضل حسن عباس : ٢١٣ .

(٧) ينظر: تفسير البغوي : ١٢٧/١ .

إدماجٌ للتنويه بشان التوبة عند ذكر ما يدل على امتثال ما أمرهم الله به من اعتزال النساء في المحيض أي التوبة أعظم شأناً من التطهر أي ان نية الامتثال أعظم من تحقيق مصلحة التطهر لأن التوبة تطهر روحاني والتطهر جثماني ..." [١] . فالله عز وجل قدم التوبة ؛ لأنها سبب الطهارة في جميع الأحوال .

٣. التقديم للتعجب :

ورد التقديم للتعجب مرة واحدة في هذه السورة ، كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة : ١١) .

تقدم الجار والمجرور (في الأرض) على جملة قالوا لأنه أهم ، إذ هو محل التعجب من حالهم . [٢] فالمنافقون الذين وجه إليهم الخطاب برؤوا أنفسهم من الفساد وقالوا ما نحن إلا مصلحون ، وذلك لفرط غرورهم ، وهذا شأن كل مفسد يزعم فساده صلاحاً .

٤. التقديم للترتيب :

وجاء التقديم لغرض الترتيب في أربعة مواضع من هذه السورة ، كقوله تعالى : ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة : ١٢٥) .

" عطف احد الوصفين على الآخر في قوله : الطائفين والعاكفين لتباين ما بينهما ولم يعطف احد الصفتين على الأخرى في قوله الركع السجود ؛ لأن المراد بهما شيء واحد وهو الصلاة إذ لو عطف لتوهم ان كل واحد منهما عبادة على حيالها " [٣] ، " والطائفون هم الذين يطوفون بالبيت والعاكفون المقيمون به ، ويقال : قد عكف ويعكف على الشيء عكوفاً أي اقام عليه ، ومن هذا قول الناس : فلان معتكف على الحرام ، أي مقيم عليه ..." [٤] ، ثم " قدم الطائفين ؛ لأن سياق الآية في عظم العناية بالبيت ، والطائفون أقرب ما يكونون إليه ثم ثنى بالقائمين وهم العاكفون ؛ لأنهم يخصون موضعاً بالعكوف والطواف بخلافه ، فكان اعم منه ، والأعم قبل الأخص ثم ثلث بالركوع ، لأن الركوع ان يكون في البيت لا عنده " [٥] .

---

(١) التحرير والتنوير : ٢/ ٣٧٠ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير : ٣/ ١٣٤ .

(٣)الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ٣٦٦/١ .

(٤)معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ١/ ١٨١ .

(٥)أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم ، محمود السيد شيخون : ٩٥-٩٦ .

فكل طائفة هي أقل من التي بعدها فتدرج من القلة إلى الكثرة ، وهذا التدرج سبب اقتضاه المقام ؛ لأن الكلام على بيت الله الحرام الذي جعل ملاذاً للخلق ومأمناً لكل من يلجأ إليه.

وجاء ترتيب الطوائف على حسب الكتب المنزلة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٦٢) من هذه السورة الكريمة ، قال الخطيب الاسكافي : " إن الذين آمنوا بكتب الله المتقدمة ، مثل صحف إبراهيم ، والذين آمنوا بما نطقت به التوراة وهم اليهود ، والذين آمنوا بما أتى به الإنجيل وهم النصارى ، فهذا ترتيب على حسب ما ترتب عليه تنزيل الله كتبه ، فصحف ابراهيم ﴿عليه السلام﴾ قبل التوراة المنزلة على موسى ﴿عليه السلام﴾ والتوراة قبل الإنجيل المنزل على عيسى ﴿عليه السلام﴾ ، فرتبهم ، عزّ وجلّ في هذه الآية على ما رتبهم عليه في بعثة الرسالة ، ثم أتى بذكر الصابئين وهم الذين لا يثبتون على دين وينتقلون من ملّة إلى ملّة ، ولا كتاب لهم .... " [1]. كما أن التقديم ورد للغرض نفسه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : ١٦٤) ، قال ابو حيان : " (إن في خلق السموات والأرض) روي أنه لما نزل (وإلهكم) الآية . قالت كفار قريش : كيف يسع الناس إله واحد ، فنزل : (إن في خلق) ولما تقدم وصفه تعالى بالوحدانية واختصاصه بالإلهية استدل بهذا الخلق الغريب والبناء العجيب استدلالاً بالأثر على المؤثر وبالصنعة على الصانع، وعرفهم طريق النظر وفيم ينظرون ، فبدأ أولاً بذكر العالم العلوي فقال : (إن في خلق السموات) وخلقها وإيجادها واختراعها أو خلقها وتركيب أجرامها وائتلاف أجزائها من قولهم : خلق فلان حسن أي خلقته وشكله ، ... والآيات في المشاهد من السموات والأرض لا في الإرادة ... " [2].

ومما ورد مقدماً للغرض نفسه قوله عز وجل : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة : ٢١٤) .

" لما انتظم إبليس في الخطاب مع الملائكة في قوله : وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالت طائفة في الكلام تقديم وتأخير التقدير حتى يقول الذين آمنوا متى نصر

(١) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي : ٢١ .

(٢) البحر المحيط : ٦٣٨/١ .

الله فيقول الرسول ألا إنّ نصرَ الله قريب ، فقدم الرسول في الرتبة لمكانته وقدم المؤمنين لتقديمهم في الزمان " [١] .

فالتقديم هنا بحسب التفاضل إذ بدأ بالرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ الذي هو أفضل الخلق ثم ثنى بالمؤمنين .

٥. التقديم للتشريف :

من أنماط التقديم الأخر التقديم للتشريف ، فقد ورد في أحد عشر موضعاً من هذه السورة ، كقوله سبحانه وتعالى : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة : ٧) .

نلاحظ في الآية تقديم المسند (الجار والمجرور) على المسند إليه (غشاوة) لأن المسند إليه نكرة محضة [٢] . وتقديم القلب على السمع إذ هو من باب التقديم للتشريف [٣] . " وقدم القلب على السمع والبصر لأن كفار مكة كانوا يبغضونه بقلوبهم وما كانوا يستمعون إليه ، وكفار المدينة كانوا يلقون إلى الناس ان النبي ﴿ﷺ﴾ شاعر وكاهن ، وأنه يطلب الملك والرئاسة فالسامعون إذا سمعوا ذلك أبغضوه ونفرت قلوبهم عنه " [٤] .

وقدم ختم القلب على ما سواه لأنه هو الأهم ، فإن القلب هو محل الهدي والضلال ، وإذا ختم عليه فلا ينفع سمع ولا بصر قال تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج : ٤٦) .

وجاء قول النبي ﴿ﷺ﴾ مؤكداً لذلك إذ قال: (.. **الا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب**) [٥] فكان التقديم أحرى وأنسب.

وقدم سبحانه وتعالى السمع على البصر ؛ لأن السمع أفضل ، والدليل على ذلك ان الله لم يبعث نبياً أصم ولكن قد يكون النبي أعمى كيعقوب ﴿عليه السلام﴾ فأنه عمي لفقده ولده ، ففاقد البصر يستطيع ان يفهم ويعي مقاصد الشيء كالبصير غير ان فاقد السمع لا يستطيع الفهم بسهولة [٦] .

---

(١) البحر المحيط : ١٤١/٢ ، وينظر: البرهان : ٢٥٠/٣ .

(٢) ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الثالث ، الجزء الأول : ٢٣٠ .

(٣) ينظر: البحر المحيط : ١٥٠/١ .

(٤) أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم : ١٢١-١٢٢ ، وينظر: المحرر الوجيز : ١٥٦/١ .

(٥) فتح الباري بشرح البخاري لأبن حجر العسقلاني : ١/ ١٣٤-١٣٧ .

(٦) ينظر: التعبير القرآني : ٥٥ .

ذكر التقديم في الآية بصفة قيمة المقدم وفضله على المقدم عليه ، لأن هذه الحواس هي خدمة للقلب وموصلة إليه .

وتقدم السمع على العلم من باب تقديم السبب على المسبب ؛ لأن السمع سبب من أسباب العلم منه في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة : ١٢٧) ، " تقدمت صفة السمع وإن كان سؤال التقبل متأخراً عن العمل للمجاورة " [١] ، وقدمها عزّ وجلّ لأنها ليست مثل العلم شمولاً [٢] .

وجاءت هذه الصفة ايضا متقدمة في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة : ١٣٧) . قال ابو حيان : " مناسبة هاتين الصفتين ان كلا من الإيمان وضده مشتمل على اقوال وأفعال وعقائد ينشأ عنها تلك الأقوال والأفعال ، فناسب أن يختتم ذلك بهما ، أي وهو السميع لأقوالكم العليم بنياتكم واعتقادكم ، ولما كانت الأقوال هي الظاهرة لنا الدالة على ما في الباطن قدمت صفة السميع على العليم ؛ ولأن العليم فاصلة أيضاً ، وتضمنت هاتان الصفتان الوعيد ؛ لأن المعنى: وهو السميع العليم فيجازيكم بما يصدر عنكم " [٣] .

وورد مثل هذا التقديم في قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة : ١٨١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة : ٢٢٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة : ٢٢٧) ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة : ٢٤٤).

وورد تقديم المسند إليه إذا كان في خبره الفاء في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة : ٢٦) [٤] ، ففي الآية تفضيل لما أشار إليه قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ (البقرة : ٢٦) الخ. من أنه وقع فيه ارتياب بين التحقيق والارتياب ، أو لما يترتب على ضرب المثل من الحكم أثر تحقيق حقيقة صدوره عنه سبحانه ، وإلغاء للدلالة

---

(١) البحر المحيط : ٥٥٩/١ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ٣٨٣/١ .

(٣) البحر المحيط : ١/ ؛ ينظر : روح المعاني : ٣٩٥/١ .

(٤) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن : القسم الثالث ، ج/١ : ٢٢٩ .

على ترتيب ما بعدها على ما يشير إليه ما قبلها ، كأنه قيل كما قيل فيضربه (فأما الذين) الخ .. ، وتقديم بيان حال المؤمنين لشرفه [١] . فالذين آمنوا يعلمون وجه التمثيل وان هذا حق من الله والذين كفروا يتلقونه بالاستنكار .

وتقدم المفعول به على الفعل في قوله ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ (البقرة : ١٢٤) ، للسبب نفسه ، قال ابن عاشور : " تقديم المفعول وهو لفظ (إبراهيم) ؛ لأن المقصود تشريف إبراهيم بإضافة اسم رب إلى اسمه مع مراعاة الإيجاز فلذلك لم يقل وإذ أبتلى الله إبراهيم " [٢] .

وجاء التقديم للتشريف في موضع آخر إذ قال تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ (البقرة : ١٧٨)

الحر بالحر ولا يقتل بالعبد ولما قدم عز وجل هذا الشرف تلاه بقوله : (والعبد بالعبد) تعظيماً للذكورية بصفة الذكر مقدم على الأنثى [٣] . ففي هذا التقديم بيان لشرف الحرية ، وذكر التقديم تشريفاً في الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٦٢) [٤] .

٦. التقديم لمراعاة اشتقاق اللفظ :

كتقديم قوله سبحانه وتعالى (في الدنيا) وقد جاء التقديم لهذا الغرض في موضع واحد من هذه السورة كقوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (البقرة : ٢١٩-٢٢٠) .

قدم قوله (في الدنيا) مراعاة لمناسبة رؤوس الآي [٥] ، " أي في أمورها فتأخذون بالأصلح فيها وتجتنبون ما يضركم ولا ينفعكم أو يضركم أكثر مما ينفعكم ، والجار والمجرور بعد تقدير المضاف وتعلق بـ(تتفكرون) بعد تقييده بالأول ، وقيل : يتعلق بـ (يبين) لكم الآيات فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة " [٦] .

---

(١) ينظر : روح المعاني : ٢٠٩/١ .

(٢) التحرير والتنوير : ١/ ٦٨٤ .

(٣) ينظر: نظم الدرر : ١٧٨/٣ ، ومعترك الإقران في إعجاز القرآن : ١٧٤ .

(٤) ينظر: البرهان : ٢٥٦/٣ .

(٥) ينظر: البرهان : ٢٦٤/٣ .

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم للألوسي : ٥٠٨/١، وينظر: في غريب إعراب القرآن : ١٥٤/١.

٧. التقديم للتنقل :

من بعض أسباب التقديم أيضاً التقديم لغرض التنقل وقد جاء في موضعين من هذه السورة كقوله عزّ وجلّ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ (البقرة : ٢١-٢٢) .

" وقد ذكر المخاطبين على من قبلهم وقدم الأرض على السماء " [١] هذا إذا كان التنقل من الأقرب إلى الأبعد ، وإذا كان التنقل من الأدنى إلى الأعلى منه قوله سبحانه وتعالى : ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ﴾ (البقرة : ٢٥٥) [٢] .

٨. التقديم لتقوية حكم أو توكيده :

من أنماط التقديم الأخرى إفادته تقوية حكم أو تأكيده وقد ورد في ثلاث مواضع من هذه السورة كقوله تعالى : ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة : ٤) .

" هم يوقنون " (هم) مبتدأ ذكر على جهة التوكيد ، ولو قال : وبالآخرة يوقنون لصح المعنى والأعراب ، ووجه التوكيد في (هم) تحقيق عود الضمير إلى المذكورين لا إلى غيرهم ويوقنون الخبر [٣] ، ذكر الزمخشري انه جئ " بالمسند إليه مقدماً على المسند الفعلي لإفادة تقوية الخبر إذا هو إيقان ثابت عندهم من قبل مجيء الإسلام على الإجمال ، .... وفي كلا التقديمين تعريض بالمشركين ونداء على انحطاط عقيدتهم ... " [٤] .

ومن هذا أيضاً قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة : ١٥) لفظ الجلالة (الله) مبتدأ ، (يستهزئ) جملة فعلية خبر ، قدم المسند إليه على المسند الفعلي لإفادة تقوية الحكم لا محالة [٥] .

ومما جاء على سبيل التأكيد أيضاً قوله المولى عز وجلّ : ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة : ٢٢٨) .

" يتربصن لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر ، أي ليتربصن ، وجاز ذلك ؛ لأن المعنى مفهوم"[١] ولما كان الخبر يحتاج إلى تأكيد وأنه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة في امتثالهن له،

---

(١) البرهان : ٢٦٨/٣ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٢٦٩/٣ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ١٩/١ .

(٤) الكشاف : ٤٢/١ .

(٥) ينظر: التحرير والتنوير : ١/ ٢٨٩ .

احتاج الكلام إلى تأكيد لأهمية الموضوع الذي تتحدث عنه الآية ، لذلك جاء الأسلوب القرآني على سبيل التوكيد بتقديم المسند إليه على خبره الفعلي مما زاد الكلام فضل توكيد وعناية [٢] .

٩. التقديم للتحذير:

ورد المسند إليه مقدماً في هذه السورة المباركة للتحذير منه ومن عواقبه من ذلك مرة واحدة في هذه السورة في قوله تعالى:﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ.....﴾(البقرة: ٢٦٨)

" قدم اسم الشيطان مسنداً إليه ؛ لأن تقديمه مؤذن بذم الذي سيق له الكلام وشؤمه لتحذير المسلمين من هذا الحكم كما يقال في مثل علم المعاني (السفاح في دار صديقك) "[٣] .

١٠. التقديم للتعظيم :

يرد المسند إليه مقدماً ويكون غرضه التعظيم والتنويه بمكانته فقد ورد مرة واحدة في هذه السورة كقوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة : ٢٥٥) [٤] .

" الله مبتدأ أول ، ولا اله ، مبتدأ ثان ، وخبره محذوف وتقديره (لا اله إلا هو) والمبتدأ الثاني وخبره خبر عن المبتدأ الأول" [٥] .

بيّن عز وجل في الآية قيامه بتدبير الخلق وتنسيق شؤونهم فهو الذي يستحق ان يعبد دون سواه .

١١. التقديم لقصد افادة نفي السلب أو عموم السلب :

تقديم المسند إليه لنفي السلب أو عموم السلب وذلك باقترانه بأداة العموم كـ (كل – جميع) ، فإن لم يقترن بها كان التقديم والتأخير سواء فإن وقعت أداة العموم بعد النفي أفاد الكلام ثبوت الحكم لبعض دون بعض كقول المتنبي : [٦]

ما كلُّ ما يتمنىَّ المرءُ يدركُهُ تـأتي الريـاحُ بمـا لا تشـتهي السّـفُن

وقول أبي العتاهية : [٧]

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن : ١٥٦/١ ، وينظر: التبيان في إعراب القرآن : ١/ ١٨٠ .

(٢) ينظر: الكشاف : ٢٧٠/١ ، وروح المعاني: ٥٢٦/١ .

(٣) التحرير والتنوير: ٥٩/٣-٦٠ .

(٤) ينظر: التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ٦١ .

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن : ١٦٨/١ .

(٦) ينظر: الديوان : ٣٥٥/١ . وروايته في الديوان تجري الرياح .

(٧) ينظر: الديوان : ٢٧٦ .

ما كلُّ رأي الفتى يدعو إلى رشدٍ إذا بـــدا لـــك رأيٌ مشـــكلٍ فَقِـــفِ

وقد يفيد تقديم أداة النفي على أداة العموم (عموم السلب) ، إذ ورد في موضع واحد من هذه السورة في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة : ٧٦) [١]

قال ابن عاشور : (مفاد التركيب ان الله لا يحب أحداً من الكافرين الآثمين ؛ لأن (كل) من صيغ العموم فهي موضوعة لاستغراق أفراد ما تضاف إليه وليست موضوعة للدلالة على صبرة مجموعة ، ولذلك يقولون هي موضوعة لكل الجمعي ، وأما الكل المجموعي فلا تستعمل فيه كل الا مجازاً ، فإذا أضيفت (كل) إلى اسم استغرقت جميع أفراده سراً وذلك في الإثبات وفي النفي ، فإذا دخل النفي على (كل) كان المعنى عموم النفي لسائر الأفراد ؛ ... الخ) [٢] ، فالمراد نفي حب الله عن أي مختال فخور .

فالنفي شامل لجميع أفراد المسند إليه مثل قول ابي النجم : [٣]

قد أصبحت أم الخيار تدَّعى علـــيّ ذنبـــاً كلـــه لـــم أصـــنع

" فأداة العموم واقعة قبل النفي ، والتركيب بهذه الصورة يفيد عموم السلب يعني انه لم يصنع شيئاً مما تدعيه هذه المرأة " [٤] .

(١) ينظر: أسرار التقديم والتأخير : ٦٣-٦٨ .

(٢) التحرير والتنوير : ٥٥٨/٢ .

(٣) لم أعثر على الديوان . ينظر: خزانة الأدب للبغدادي : ٣٥٩/٤، والمعاني في ضوء أساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين : ٢٢٩.

(٤) المعاني: في ضوء أساليب القرآن : ٢٢٩ .

١٢. التقديم للقصر والاختصاص :

- **التقديم للقصر :**

قد يكون الغرض من التقديم الحصر ومن هذا تقديم المسند إليه وتقديم بعض متعلقات الجملة اذ ورد في ستة مواضع من هذه السورة ما يدل عليه .

فمن الأول ورد المسند إليه مقدماً في عدة مواضع [١] ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (البقرة : ١٤) .

" قصروا أنفسهم على الاستهزاء قصراً إضافياً للقلب أي مؤمنون مخلصون وجملة : (إنما نخن مستهزئون) تقرير لقوله : (إنا معكم) لأنهم إذا كانوا معهم كان ما أظهروه من مفارقة دينهم استهزاء أو نحوه فأما ان تكون الجملة الثانية استئنافاً واقعة في جواب سؤال مقدر كان سائلاً يعجب من دعوى بقائهم على دينهم لما أتقنوه من مظاهر النفاق في معاملة المسلمين ، وينكر ان يكونوا باقين على دينهم ويسأل كيف أمكن الجمع بين البقاء على الدين وإظهار المودة للمؤمنين فأجابوا (إنما نحن مستهزئون) ، وبه يتضح وجه الآيتين بأداة القصر ... " [٢] .

وقد تتقدم شبه الجملة من الجار والمجرور لإفادة الحصر أيضاً كقوله سبحانه وتعالى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة : ٢٨٥) .

شبه الجملة من الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، والمصير مبتدأ مؤخر[٣]. وقدم الجار والمجرور للحصر فالمصير إلى الله لا إلى غيره ، وهو قصر حقيقي قصدوا به لازم فائدته ، وهو أنهم عالمون بأنهم صائرون إليه ، ولا يصيرون إلى غيره ممن يعبدهم أهل الضلال [٤] .

- **التقديم للاختصاص :**

قد يتقدم الظرف – وهو الجار والمجرور – في الجملة ، فإذا جاء في مقام الإثبات ، يكون تقديم الظرف أبلغ من تأخيره ، ويكون الغرض الاختصاص وإسناد الكلام الواقع بعده إلى

---

(١) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الثالث ، ١/ ٢١٥ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٨٨/١ .

(٣) ينظر: إعراب القرآن وبيانه : ٤٤٩/١ .

(٤) ينظر: التحرير والتنوير : ٥٩٦/٢ .

صاحب الظرف ، دون غيره ، [١] وقد ورد التقديم للاختصاص في سبعة مواضع من هذه السورة ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (البقرة: ٩٠) .

" (وللكافرين) الواو استئنافية وللكافرين جار ومجرور متعلقان ؛ بمحذوف خبر مقدم (عذاب) مبتدأ مؤخر "[٢] .

جاء في روح المعاني : " اللام – في (الكافرين) للعهد والإظهار في موضع الإضمار للايذان بعلية كفرهم لما حاق بهم ؛ ويحتمل ان تكون للعموم ، فيدخل المعهودون فيه على طرز ما مرّ و– المهين – المذل ، واصله مهون فاعل ، واسناده إلى العذاب مجاز من الاسناد إلى السبب – والوصف به للتقييد – والاختصاص الذي يفهمه تقديم الخبر بالنسبة إليه ، فغير الكافرين إذا عذب فإنما يعذب للتطهير – لا للإهانة والإذلال ... الخ " [٣] .

ومنه قوله عز وجل : ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (البقرة : ٢١٠) .

أي ان الأمر إليه يصير لا إلى غيره ، فهو المتفرد بالمجازاة وبرفع إبهام ماكان عليه ملوك الدنيا من رفع أمور الناس اليهم . [٤] . فشؤون الخلق جميعاً في قبضة الله يصرفها حيث يشاء ، وقد قضى فيها قضاءه الذي سينفذ لا محالة .

وجاء الظرف أيضاً في مقام الإثبات مقدماً في قوله سبحانه : ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة : ١٤٣) .

" أخرت صلة الشهادة في الأول ، وقدمت في الثاني ، لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم ، وفي الثاني اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم هذا إذا كان الظرف في حال الإثبات " [٥] . ففي تقديم الجار والمجرور (عليكم) فائدة الاختصاص لأن محمداً ﴿ﷺ﴾ سيكون عليهم شهيداً ، أي أنهم يختصون بشهادته ﴿ﷺ﴾ .

وجاء الخبر من الجار والمجرور مقدماً جوازاً في مواطن أخرى [٦] ، للاختصاص أيضاً في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ١١٥) و قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٩).

---

(١) صفاء الكلمة : ١٩٨ .

(٢) إعراب القرآن وبيانه : ١٤٥/١ .

(٣) روح المعاني : ٣٢٢/١ .

(٤) ينظر: البحر المحيط : ١٢٥/٢ .

(٥) الكشاف: ٢١٤/١ .

(٦) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم : القسم الثالث ، ٢٣٣/١–٢٣٤ .

أما في حالة نفي الظروف فإن تقديمه يفيد المنفي عليه وتأخيره يفيد النفي فقط ، كقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة : ٢) .

" (لا) حرف نفي يراد بنفيه نفي الجنس ، وبُنى (ريب) مع (لا) ، لأنه معه بمنزلة (خمسة عشر) ... ، وموضع فيه رفع ، لأنه خبر (لا) وموضع (لا ريب فيه) : رفع لأنه خبر (ذلك) " [١] ، فالجار والمجرور فيه بتأخيره في الجملة أفاد نفي الريب ، وإثبات أنه حق وصدق وليس باطلاً وكذباً ، كما يدعيه المشركون ، فتأخير الجار والمجرور أفاد النفي من غير تفصيل ، ولو قدم في الآية فقيل (فيه لا ريب) لإفادة التفصيل ، فدل على نفي الريب عن القرآن الكريم وتفضله على كتب أخرى فيها ريب ، وهذا المعنى غير مقصود ولا مراد" [٢]. قدم الريب على الجار والمجرور لأنه أولى بالذكر استعداداً لصورته حتى تتجسد أمام السامع.

وقدم المفعول به على الفعل ليفيد الاختصاص في قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة : ٤٠) .

تقدم الضمير المنفصل الذي ورد منصوباً بفعل مقدر تقديره إياي ارهبوا فارهبون ، ووجب تقدير (ارهبوا) ولم يعمل فيه (فارهبوا) الملفوظ به لأنه مشغول بالضمير المحذوف وهو الياء ، ووجب أن يكون هذا الفعل المقدر بعد (إياي) ؛ لأنه ضمير منفصل ، والضمير المنفصل إنما يعمل فيه على هذا الحد ما بعده لا ما قبله ، لأنه لو كان قبله لصار متصلاً لا منفصلاً ، ولم يأت ذلك إلاّ في ضرورة الشعر كقول الفرزدق : [٣]

بالباعث الوارث الأموات قد ضمنت إياهم الأرض في دهر الدهارير [٤]

والضمير المنفصل الذي وقع مفعولاً به مقدماً للاختصاص أوكد في إفادة الاختصاص من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (الفاتحة : ٥) . لما كان إلقاء المؤدنة بتلازم ما قبلها وما بعدها . [٥] . وذكر الضمير منفصلاً مقدماً لغرض الاختصاص في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة : ١٧٢) [٦] . أي ان كنتم تخصونه بالعبادة فلا تعبدون سواه .

---

(١) البيان في غريب اعراب القرآن : ١/٤٤-٤٥ .

(٢) صفاء الكلمة : ١٩٩-٢٠٠ ، وينظر : البلاغة فنونها وأفنانها : ١٠٧ .

(٣) ينظر: الديوان : ١/٢٣٧ .

(٤) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن : ١/٧٧ .

(٥) ينظر: تفسير غرائب القرآن وغرائب الفرقان : ١/٢٧٢ .

(٦) ينظر: الكشاف : ١/٢١٤ .

١٣. التقديم للاهتمام عند المخاطب :

يرد التقديم للاهتمام في خمسة مواطن من هذه السورة ، كقوله سبحانه وتعالى : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ (البقرة : ١٠) .

قدم الخبر الذي وقع ظرفاً والمبتدأ نكرة محضة [١] . وجاء تقديم الظرف هنا للاهتمام ؛ لأن القلوب هي محل الفكرة في الخداع فلما كان المسؤول عنه هو متعلقها وأثرها كان هو المتهم به في الجواب [٢] . وهذا التقديم أولى بالاهتمام في تشكيل صورة الوصف .

ومما جاء تقديمه للسبب نفسه قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة : ٤٣) .

إذ قدم الصلاة لأنها أهم من الزكاة [٣] . وقدم سبحانه الأمر بالصلاة لشمول وجوبها ولما فيها من الإخلاص والتضرع ، وهي أفضل العبادات البدنية وقرنا بالزكاة لأنها أفضل العبادات المالية [٤] ، فالصلاة أهم ركن في الإسلام ففيها تتم مناجاة العبد لربه في خشوع ، وسجوده بين يديه في الصلاة ، وانشغاله به عما سواه ، يكون العبد أقدر على تكريم معنى الإنسانية في البشر من حوله وأسرع إلى الاستجابة إلى حاجاتهم فلذا قدمت على بقية الأركان.

ومن هذا النوع من التقديم قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ (البقرة : ١٧٣) .

" وإنما قدم (به) هنا لأنه أمس بالفعل وأخر في مواضع أخر نظراً للمقصود فيها من ذكر المستنكر وهو الذبح لغير الله عز وجل "[٥] ، " وتقديم الباء هو الأصل لأنه يجرى في إفادة التعدية مجرى الهمزة والتضعيف فكان هذا الموضع هو اللائق بهذا الأصل "[٦] ، ولما كان المقام مقام الرزق والطعام والأمر بأكل الطيبات قدم (به) والضمير يعود على ما يذبح وهو الطعام مناسبة للمقام ، في حين أخر الضمير في سورتي المائدة والأنعام ، لأنه مقام تحليل وتحريم ، لأن هناك ذوات تحلل وتحرم مفترية على الله وذوات يزعمون أنها شركاء لله، لذا قدم إبطال هذه المعبودات من غير الله على (به) فقال : ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ لأنه هو مدار الاهتمام والكلام [٧] .

---

(١) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن " القسم الثالث : ٢٣٠/١ ، وإعراب القرآن وبيانه : ٣٢/١ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٤/١ .

(٣) ينظر: البرهان : ٢٣٥/٣ ، والبلاغة فنونها وأفنانها : ١٧٨ .

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي : ٥٨/١-٥٩ .

(٥) روح المعاني : ٤٤٠/١ .

(٦) أسرار التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ١٢٣ .

(٧) ينظر: التعبير القرآني : ٧٢-٧٣ .

إذ قدم ما هو المستنكر وهو الذبح لغير الله .

وهناك آيات أخر يرد فيها المفعول به مقدماً فتجمع بين فائدة الاهتمام وتحقيق التناسب بين رؤوس الآيات كقوله تعالى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة : ٣) .

(ومما رزقناهم ينفقون) " من " متعلقة بينفقون ؛ والتقدير : وينفقون مما رزقناكم فيكون الفعل قبل المفعول به ، كما كان قوله : يؤمنون ، ويقيمون ، وإنما أخر الفعل على المفعول لتوافق رؤوس الآي ... [١] ، وقدم المفعول دلالة على كونه أهم [٢] ، فكان في تقديمه سر لطيف وغرض مقصود ، وهو ان الإنسان قد ينفق مما ليس له ، ولو قدم الفعل على المفعول فقيل (ينفقون مما رزقناهم) لسبق إلى الوهم قبل ذكر المنفق جواز كونه مما ليس له ، ومع تأخيره يزول هذا الوهم ويرتفع ذلك اللبس [٣] .

ونحوه قوله تعالى : ﴿فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة : ٨٧) .

قوله تعالى : " فَرِيقًا " منصوب بـ "كَذَّبْتُمْ " " وَفَرِيقًا " الثاني منصوب بـ " تَقْتُلُونَ " وإنما تقدم المفعول للاهتمام به ، وإذا كان الوجه كذبتم لأجل الفواصل ، فإن فواصل الآيات كرؤوس الأبيات " [٤] . قال ابن عاشور : " وتقدم المفعول به هنا لما فيه من الدلالة على التفصيل فناسب ان يقدم ليدل على ذلك كما في قوله تعالى : ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ (الاعراف : ٣٠) ... الخ " [٥] .

١٤. التقديم للتنبيه والتشويق :

ورد تقديم المسند على المسند إليه لغرض التنبيه من أول الأمر على ان المقدم خبر لا صفة في موضع واحد من هذه السورة في قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة : ٣٦).

تقدم الخبر هنا لأن المبتدأ نكرة محضة [٦] ، فقوله " (لكم) الواو حرف عطف ، ولكم متعلقان بمحذوف خبر مقدم (في الأرض) متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الخبر أو بمحذوف

---

(١) التبيان في إعراب القرآن : ١٨/١ .

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه : ٢٤/١-٢٥ .

(٣) ينظر: صفاء الكلمة : ١٩٧-١٩٨ .

(٤) البيان في غريب إعراب القرآن : ١٠٦/١ .

(٥) التحرير والتنوير : ١/ ٥٨٠ .

(٦) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن : القسم الثالث : ٢٣٠/١ .

حال (مستقر) مبتدأ مؤخر .. الخ " [١] ، وقدم المسند على المسند إليه للتنبيه على أنه خبر لا صفة وهذا ما ذكره السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) [٢] . فتقديم الجار والمجرور يدفع أي توهم في كون الخبر نعتاً ، قال الشاعر : [٣]

له هِمَمٌ لا منتهى لكبارها وهَمَّتُهُ الصُّغْرى أَجَلُّ من الدَّهْر

له رَاحةٌ لو أن مِعْشَارَ جُودِهَا على البَّر كان البُّر أندى من البَحْرَ

" فأنه لو قال: همم له لأوهم ان كلمة "له" صفة ، لأن النكرة تحتاج إلى الصفة أكثر من الخبر "[٤] .

ويتقدم المسند على المسند إليه ليفيد التشويق وقد ورد في موضعين من هذه السورة، كقوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة : ٨) .

" الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (من) اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر ويجوز ان تكون موصوفة في محل رفع مبتدأ كأنه قيل : ومن الناس ناس .. الخ "[٥]، وقد كثر تقديم الخبر في مثل هذا التركيب ؛ لأن في تقديمه تنبيهاً للسامع على ما سيذكر وتشويقاً لمعرفة ما يتم به الإخبار .. [٦] ، ومنه قول محمد بن وهيب يمدح المعتصم : [٧] .

ثلاثة تشرقُ الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

" فإنه لما قال ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها تشوقت النفس إلى معرفتها ، وذلك لما أشعر به المسند من عظمتها وعلو شأنها " [٨] .

وجاء المسند مقدماً جوازاً على المسند إليه في قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ (البقرة : ٧٨) [٩] .

---

(١) إعراب القرآن وبيانه : ٨٧/١ ، وينظر: الدر المصون : ٢٩٢/١ .

(٢) ينظر: مفتاح العلوم : ٤٢١، ونسبه إلى حسان بن ثابت ولم أجده في ديوانه ، ولم أعثر عليه في شرح الديوان لعبد الرحمن البرقوقي .

(٣) القول : قول أبي بكر بن النطاح لأبي دلف القاسم بن عيسى . ينظر: معجم شواهد العربية ، عبد السلام هارون : ١٧٣/١ ، والبلاغة فنونها وأفنانها : ١٧٢ .

(٤) بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني ، توفيق الفيل : ١٣٢ .

(٥) إعراب القرآن وبيانه : ٣١/١-٣٢ ، وينظر : الدر المصون : ١١٧/١ .

(٦) ينظر: البحر المحيط : ١/ ٢٦٠ .

(٧) ينظر: الأغاني : ١٧/ ١٤٢ ، ومفتاح العلوم : ٤٢٤ .

(٨) بلاغة التراكيب : ١٣٢ .

(٩) دراسات لأسلوب القرآن الكريم : القسم الثالث ، ٢٣٣/١ .

" ارتفع (اميون) بالابتداء و (منهم) الخبر وفي قول الاخفش يرتفع اميون ، بفعلهم ، كأن المعنى واستقر منهم أميون " [١] . قال أبو على الفارسي (ت٣٨٨ هـ) : " ليس يرتفع " أميون " عند أبي الحسن بفعلهم ، إنما يرتفع بالظرف الذي هو " منهم " ومذهب سيبويه انه يرتفع بالابتداء ، ففي " منهم " عنده ضمير لقوله : " أميون " وموضع " منهم " على مذهبه رفع لوقوعه موقع خبر المبتدأ ، أما على مذهب ابي الحسن فلا ضمير لقوله : " أميون " في "منهم" ولا موضع عنده ، كما أنه لا موضع لـ "ذهب" من قولك : ذهب زيدٌ ، وإنما رفع ابو الحسن الاسم بالظرف في نحو هذا ؛ لأنه نظر إلى هذه الظروف فوجدها تجري مجرى الفعل في مواضع ؛ وهي : أنها تحتمل الضمير، ما يحتمله الفعل وما قام مقامه من أسماء الفاعلين ، وما شبه به ويؤكد ما فيها ، كما يؤكد ما في الفعل وما قام مقامه في نحو : مررت بقوم لك أجمعون ، وينتصب عنها الحال كما ينتصب عن الفعل ، وتوصل بها الاسماء الموصولة ، كما توصل بالفعل والفاعل ، فلما رآها في هذه المواضع تقوم مقام الفعل ، أجراها مبتدأةً مجرى الفعل ، فرفع بها الاسم ، كما يرفع بالفعل ، وقامت هذه الظروف مقام الفعل في هذه المواضع ، فقال في : عندك زيدٌ ، وفي الدار عمرو ، و (منهم أميون) ونحو ذلك : انه مرتفع بالظرف ... " [٢] .

قدم (الخبر) للتشويق إلى المسند إليه كما في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا﴾ ومعناه كيف تطمعون ان تؤمنوا ومن اليهود فريق جهلة وفريق محرفون لا يعرفون عن التوراة إلا أكاذيب ، وإذا انتفى إيمان أهل العلم منهم والمظنون بهم تطلب الحق المنجي والاهتداء إلى التفرقة بينه وبين الباطل فكانوا يحرفون الدين ويكابرون فيما يسمعون من معجزة القرآن [٣] . . ونحو قول القائل : " (لنا في فلسطين مقدسات)، (ولنا في صلاح الدين أسوة) " [٤].

١٥. التقديم مراعاة للفاصلة والبناء الموسيقي :

" ان الإيقاع الذي يكمن في داخل آي القرآن وخارجها ، يتم في وحدة متناسقة عجيبة ، وان التنوع في هذا الإيقاع لا يخرج عن كونه صورة حية لهذا التناسق ، ولو أجرينا استقراء لنوع الإيقاع في كل سورة ، لاتضح لنا انه إيقاع قائم على أسس فنية ونفسية ، فنية من حيث توفر الشروط الجوهرية لسمو التعبير القرآني في حروفه وكلماته وتركيبه وجمله ، وفي دقة النظم

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٤٣/١، ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٩٠/١، والبيان في غريب إعراب القرآن: ٩٨/١ .

(٢) الأغفال : ٣٢٩/١– ٣٣٠ ، ينظر: معاني القرآن للاخفش : ٩٠/١ .

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٥٥/١ .

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها : ١٧٢ .

وأحكامه وسبكه ، ونفسية من حيث ان الإيقاع ينبع من النفس ، وان عبارة القرآن صدى لترتيب المعنى بها ، واستجابة حقيقية لمحتواها ودقائق خفاياها ، وهي بذلك تنفصل وتتجاوب وتهتز وتحدث إيقاعاً يتناسب ونوع الانفصال والتأثير والمحتوى ... ان آي القرآن وسوره ، سواء أكانت قصيرة كانت أم طويلة ، تنتهي بنغمة في فواصلها ، وتتقارب هذه النغمات في الآي القصار خاصة تبعاً لجو السورة ونوع الموضوع ... " [١] .

وان هذه الفاصلة ليست كقافية الشعر تقاس بالتفعيلات والأوزان ، وتضبط بالحركات والسكنات ، ولا النظم فيه يعتمد على الحشو والتطويل ، أو الزيادة والتكرار والحذف والنقصان ولا الألفاظ تحشد حشداً وتلصق الصاقاً وليس فيه إبهام وغرابة ، بل الفاصلة طليقة من كل قيد [٢] .

ورد التقديم مراعاة للفاصلة القرآنية في أربعة مواضع من هذه السورة كما في قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة : ١٢٨) .

قوله :﴿ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ تعليل للدعاء ، وسبب تقديم التوبة للمجاورة وتأخير الرحمة لعمومها ولكونها أحرى بالفواصل [٣] ، والدعاء – بطبيعته– ضرب من النشيد الصاعد إلى الله ، ولا يحلو وقعه في نفس الضارع المبتهل الا ان تكون ألفاظه منتقاة ، والقرآن لم ينطق على لسان النبيين والصالحين الا بأحلى الدعاء نغماً ، وأروعه سحر بيان وأكثره تناسقاً [٤] . أي انه تعالى كثير القبول لتوبة عباده ، الغافر لهم بفضله ورحمته .

ونحو قوله تعالى :﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة : ١٤٣) " ختم هذه الآية بهذه الجملة وهي جارية مجرى التعليل لما قبلها أي للطف رأفته وسعة رحمته نقلكم من شرع إلى شرع أصلح لكن وأنفع في الدنيا ... وتأخر الوصف بالرحمة لكونه فاصلة وتقدم المجرور اعتناءً بالمرؤوف بهم " [٥] . فتقدم لفظ (رءوف) ليقع لفظ (رحيم) فاصلة فيكون أنسب بفواصل هذه السورة لانبناء فواصلها على حرف صحيح ممدود يعقبه حرف صحيح ساكن . ويسهم التقديم والتأخير في بناء النسق الموسيقي للجملة العربية ، فمن هذا قوله سبحانه : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة : ١٧٦) ، وقوله : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ

(١) الإعجاز الغني في القرآن ، عمر السلامي : ٢٥٧ .
(٢) ينظر: مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح : ٣٤٠ .
(٣) ينظر: تفسير أبي السعود : ١٩٩/١ ، وروح المعاني : ٣٨٤/١ .
(٤) ينظر: مباحث في علوم القرآن : ٣٣٧ .
(٥) البحر المحيط : ٤١١/١ .

النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (البقرة : ٢١٣) .

ان الإيقاع الذي أحدثه الفعل (اختلف) الذي ورد متبوعاً بالجار والمجرور أسهم في البناء الموسيقي للجملة [١] ، " الا ان القرآن الكريم قد يعدل عن ذلك السياق ليقدم الجار والمجرور ويؤخر الفعل ليتناسب السياق الموسيقي بين الآيات " [٢] .

١٦. تقديم سبق ما يقتضي تقديمه :

وهو دلالة السياق كتقديم الأمر بالدخول على الأمر بالقول ، وقد ورد في موضعين من هذه السورة في قوله تعالى : ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ (البقرة : ٥٨) .

سبب تقديم السجود على القول في هذه الآية هو ان السياق قد اقتضى ذلك إذ جاءت هذه القصة في عقب الأمر بالصلاة حين قال تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ . . . وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة : ٤٣-٤٥) ، والسجود من أركان الصلاة ، ثم ان المقام في هذه الآية مقام تعديد النعم على بني إسرائيل ، فقد بدأ القصة بقوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة : ٤٧) ، والسجود أفضل من قوله حطة فناسب تقديم السجود ، في حين قدم القول على الدخول في سورة الأعراف فقال تعالى : ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ (الأعراف : ١٦١) ، لأن كلا الأمرين المذكورين سابقاً مرفوع من هذه الآية الكريمة . [٣] وتقديم الأمر بالدخول على الأمر بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لأن المأمور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما [٤] . ونحو قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ (البقرة:٢٤٥) .

" أصل القبض الشد والتماسك وأصل البسط : ضد القبض وهي الإطلاق والإرسال...[٥] " ، " قدم القبض على البسط لأن قبله " من الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعف له أضعافاً كثيرة " وكان هذا بسطاً ، فلا يناسب تلاوة البسط ، فقدم القبض لهذا ، وللترغيب في الإنفاق لأن

---

(١) ينظر: التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ١٥٤ .

(٢) التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ١٥٤ ، وينظر: السياق الموسيقي للجملة العربية وأثره في بنائها ، أحمد نصيف الجنابي ، مجلة آداب المستنصرية ، ع٢ ، ١٩٧٩ .

(٣) ينظر: معاني النحو : ٣/ ٢١٥ .

(٤) ينظر: تفسير أبي سعود : ٨٣/١ .

(٥) التحرير والتنوير : ٢/ ٤٦٠ .

الممتنع منه سببه خوف القلة فبين ان هذا لا ينجيه ، فإن القبض مقدر "[1] . يبين عز وجل في هذه الآية ان الرزق بيد الله فيضيق على من يشاء ويوسع لمن يشاء لما فيه مصلحتهم واليه مصيرهم فيجازيهم على ما بذلوه .

وهكذا تنوعت صور التقديم ومسوغاته في هذه السورة الكريمة لتبين قدرة المولى عز وجل وإعجازه في دقة وضع الألفاظ والتصرف فيها مما لم يكن لأحد القدرة على ذلك التصرف ، وبرغم ان الإسناد علاقة عامة تشكلها الثوابت النحوية لكن هناك علاقات معنوية كثيرة هي في الوقت نفسه لون من ألوان ارتباط المتقدم بالمتأخر ، سواء كان هذا المتقدم المسند اليه أم المسند وهذا الارتباط يثري فاعلية اللفظة المتقدمة ويدعم نماء الفكرة . كل ذلك مراعياً فيه الاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب متسلسلة متناسقة لا تحمل خللاً بل أحكاماً وأداءً متيناً .

(١) البرهان : ٣٣٢/٣ .

ثبت المصادر والمراجع :

- أساس البلاغة : جار الله فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري ، قدم له وشرح غريبه .د. محمد احمد قاسم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .
- أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم : محمود السيد شيخون ، مكتب الكليات الأزهرية ، ط١، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣ م .
- الإعجاز الفني في القرآن : عمر السلامي ، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس ، ١٩٨٠ م .
- إعجاز القرآن الكريم : فضل حسن عباس ، سناء فضل عباس ، المكتبة الوطنية .
- إعراب القرآن الكريم وبيانه : محيي الدين الدرويش ، مؤسسة الإيمان ، دار الإرشاد بحمص ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣ م .
- الاغاني : أبو الفرج الاصفهاني ، مطبعة بولاق بمصر . (د.ت) .
- الاغفال : ابو علي الحسن بن احمد الفارسي (ت٣٧٧ هـ) ، تحقيق : عبد الله بن عمر الحاج إبراهيم ، دبي ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م.
- البحر المحيط : أثير الدين بن عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي الحياني الشهيد بابن حيان (ت٧٥٤هـ) ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض ، (د.ت) ، بيروت (د.ت) .
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الكريم الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩١هـ = ١٩٧٢م .
- بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني : أ.د. توفيق الفيل ، جامعة قطر ، ط٢ ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م .
- البلاغة فنونها وأفنانها : الدكتور فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، عمان ، ط١ ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥ م .
- البيان في غريب إعراب القرآن : أبو البركات بن الانباري (ت ٥٧٧ هـ) ، تحقيق: الدكتور طه عبد الحميد طه ، مراجعة مصطفى السقا ، المكتبة العربية ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، الجمهورية العربية المتحدة ، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٩ م .
- التبيان في إعراب القرآن : أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ) تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجميل ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .
- التحرير والتنوير المسمى (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من الكتاب المجيد) : محمد الطاهر ابن عاشور (ت١٩٧٣ م) ، الدار التونسية للنشر ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع (د.ت) .

- التعبير القرآني : الدكتور فاضل صالح السامرائي ، بيت الحكمة ، بغداد ، ١٩٨٦م، ١٩٨٧ م .
- التعريفات : الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت٧٤١هـ) ، تونس ، ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م .
- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) : أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤٨هـ) ، تحقيق : الرحابي الفاروق عبد الله ابراهيم الانصاري ، وعبد العال السيد ابراهيم ومحمود الشافعي صادق العاني ، الدوحة ، ط١، ١٤٠١هـ = ١٩٨١ م .
- تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) : أبو السعود محمد بن محمود العمادي (ت٩٥١هـ) ، بإشراف : محمود عبد اللطيف ، مكتبة ومطبعة محمود علي صبيح عيدان ، الأزهر ، مصر ، ط١ ،١٣٤٧هـ = ١٩٢٨ م .
- تفسير البغوي (معالم التنزيل) : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢ م .
- تفسير سورة البقرة : عبد العزيز أمير ، عمان ، دار الفرقان ، ١٩٨٥ م .
- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : نظام الدين الحسن بن محمد بن حسن القمي النيسابوري (ت٧٢٨هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦ م .
- التفسير الكبير : فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر حسين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية ، طهران ، ط٢ ، (د.ت) .
- التقديم والتأخير في القرآن الكريم : حميد احمد عيسى العامري ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٦ م .
- خزانة الأدب ولب لسان العرب : عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩ م .
- دراسات لأسلوب القرآن : عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .
- درة التنزيل وغرة التأويل : محمود بن عبد الله الاسكافي (ت٤٢٠هـ) ، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، ط١، ١٣٩١هـ ١٩٧٣ م .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور احمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣ م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني : عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تحقيق : الدكتور ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

- ديوان أبي العتاهية : دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م .
- ديوان الفرزدق : قدم له وشرحه مجيد طراد ، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٩هـ = ١٩٦٩ م .
- ديوان المتنبي : فهرسه وشرحه : عبود أحمد الخزرجي ، خطه : يحيى سلوم العباس الخطاط ، بغداد ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨ م .
- ديوان الهذليين: حققه عبد الستار احمد فراج ، راجعه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني، مكتبة دار العروبة .
- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ) ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .
- صحيح مسلم : أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري الينسابوري (ت٢٦١هـ) : بشرح النووي : للإمام يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦ م .
- صفاء الكلمة : الدكتور عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣ م .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري : احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها : محمد فواد عبد الباقي ، دار السلام – الرياض– دار الفيحاء– دمشق ، ط٣ ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠ م .
- كتاب سيبويه : أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل : جار الله بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د.ت) .
- لسان العرب المحيط : ابن منظور (ت٧١١هـ) ، اعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف الخياط ، دار لسان العرب ، بيروت – لبنان .
- لمسات بيانية في نصوص التنزيل : الدكتور فاضل صالح السامرائي ، دار عمان، عمان – الأردن ، ١٩٩٨ م.
- مباحث في علوم القرآن : الدكتور صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١١، ١٩٧٩ م .
- المعاني في ضوء أساليب القرآن : الدكتور عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨ م .
- معاني القرآن : أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت٢١٥هـ) ، حققه الدكتور فائز .

- معاني القرآن وإعرابه للزجاج : أبو إسحاق ابراهيم بن السري (ت٣١١هـ) ، شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي ، خرج أحاديثه الأستاذ علي جمال الدين محمد ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤ م .
- معاني النحو : الدكتور فاضل السامرائي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بيت الحكمة ، جامعة بغداد ، مطبعة التعليم العالي ، جامعة الموصل ، ١٩٨٩ م .
- معترك الاقران في إعجاز القرآن : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ، تحقيق : علي محمود البجاوي ، مكتبة الدراسات القرآنية ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٩م ، ١٩٧٣ م .
- معجم شواهد العربية : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بمصر ، ط١ ، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢ م .
- مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت٦٢٦هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط١، ١٣٥٦هـ = ١٩٣٧ م .
- مقاييس اللغة : أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، المجمع العلمي العربي الإسلامي، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩ م .
- نظرية اللغة في النقد العربي : الدكتور عبد الحكيم راضي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين بن الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط١، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠ م .

الدوريات :

- السياق الموسيقي للجملة العربية وأثره في بنائها : الدكتور احمد نصيف الجناني ، مجلة آداب المستنصرية ، ع/٤ ، ١٩٧٩ م .